Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نحن هنا حيال حركة ثالثة تصل بها القصيدة إلى ذروتها الغنائيـة التعبيريـة. وهى تستهلّ بنداء اسم "زهراء" ويبدو طبقاً لمؤرّخى السيّاب أنّه اسم مستعار لرفيقة صباه، يكنّى به عن "وفيقة" بنـت عمّـة، ولعلّ صحبتـه لهـا ولغيرهـا مـن الأطفـال، واندماجه فى صفّ ضعاف البيت مع النّساء قد وضعاه فى هذا الموقف الـذى يبـدو للوهلة الأولى خارجاً عن الإطـار العـام للقصيـدة التـى تستحضر مـاضى الطفولـة بأكبر قدر من التحنان؛ إ يشـير إلـى صلابـة عـالم الرّجـال المنهمكيـن فـى سـمرهم وعربدتهم، فى مقابل عـالم الطفولـة والإنـاث المستضعفين، لكـن هـذا التقـابل ذاتـه يعزّز التماسك الدلالى للنصّ، بما يبرزه من خصوصيّة المجتمع العراقى الذكورى وانشطاره علـى هـذا النسـق . ويظـل انحيـاز الشّـاعر "الرّجـل" الآن لهـذه الطفولـة الأنثويّة هو الذى يمثّل ثنائيّة الأمّ / الأبّ فى خطاب السيّاب الشعرى بتغليـب أحـد طرفيهـا. لكنّ البـؤرة الدلاليّـة المكثّفـة والجامعـة لخيـوط النـصّ التـــى تســمح لنــا باعتبارها أبرز نقطة فى هذا التيّار الغنائى المعبّر هى تلك التى تتركّز فـى عبـارة "حشد من الحيوات" لتبلغ أوج عنفوانها فى تمثيـل كيـان متوحّـد مـن صـورة الـذّات وهى مسكونة بأنس الرفقة الحانية. وإذ تمضى بقيّة القصيدة فى رحلة التماهى بيـن الوطن والحبيبة، وبين الذّات فى صميم كينونتها وبيـن اسم هذا الوطـن، فـإنّ ذلّ الغربة وضعفها لا يلبث أن يسـفر بشـكل حـادّ عـن بـروز عنصـر المـال وتضخيـم دوره فى تحديد مصائر الرّجال . وتنتهى القصيدة بحسرة ملتاعة، وانتظـار – دون جدوى – للرّياح وللقلوع التى هبّت فى مطلعها.

ويبدو أنّ النموذج السردى الغالب على هذا النصّ هو الذى أتـاح للشـاعر استجماع العناصر الشتيتة من صور الحاضر وذكريات الماضى ونسجها فى اتساق وعفويّة، بقدر واضح من الشفافية والتماسك والتـوازن، بحيـث تصبـح فـى تقديمهـا لهذا الحشد من الحيوات تحقيقاً شعرياً للسمات الأسلوبيّة فى ظواهر التنوّع اللّغـوى والموسـيقى، ويتّضـح مـن الخاصيّـة المميّزة لهذا الأسلوب التعبيرى فـى جملتـه، وللحيوى منه بالذّات، أنّ المتلقّى لا يجـد صعوبـة فـى تجميـع الأشتات فـى محـور دلالـى واحـد، لأنّ فـورة المشـاعر ووحـدة الاتجـاه العـاطفى وبـروز التوافـق بيـن الموقـف الشـعرى وأدوات التعبير، كـل ذلـك يصـل بالتيـار الغنـائى إلـى تحقيـق استراتيجيّة تناوب العناصر مع انسجامها وتعدّدها مع وحدتها، وقدرتها على تنظيـم وحدة إيقاعيّة شاملة كمظهر جمالى مهيمن على جميع وحدات النصّ.